

ذو النون المصري

رائد الأحوال والمقامات

الكاتب

مؤمن راشد



فصول

ذو النون المصري رائد الأحوال والمقامات

خاص إحسان **مؤمن راشد**

اسمه ثوبان بن إبراهيم، ويقال أبو الفيض بن أحمد، ويقال ابن إبراهيم أبو الفيض، ويقال أبو الفياض الإخميمي، ولد بالنوبة من قرية من قرى صعيد مصر يقال لها إخميم، روى عن: مالك، والليث، وابن لهيعة، وفضيل بن عياض، وسفيان بن عيينة، وسلم الخواص، وجماعة، وروى عنه: أحمد بن صبيح الفيومي، وربيعة بن محمد الطائي، ورضوان بن محيميد، ومقدام بن داود الرعيني، والحسن بن مصعب النخعي، والجنيد بن محمد، وغيرهم[1]، قال الدارقطني: روى عن مالك أحاديث فيها نظر، وكان واعظًا[2].

وقال يوسف بن الحسين الرازي: حضرت مجلس ذي النون فقيل: يا أبا الفيض، ما كان سبب توبتك؟ قال: أردت الخروج إلى قرى مصر فنمت في الصحراء، ففتحت عيني، فإذا أنا بقبرة عمياء معلقة بمكان، فسقطت من وكرها، فانشقت الأرض، فخرج منها سكرجتان ذهب وفضة، في أحديهما:

---

(1) تاريخ الإسلام، الذهبي، (411/4).

(2) ميزان الاعتدال، الذهبي، (33/2).

سمسم، وفي الأخرى ماء، فأكلت وشربت، فقلت: حسبي قد تبت، ولزمت الباب إلى أن قبلني[3].

وذو النون هو أحد مؤسسي التصوف، وقد كان له قراءة في فلسفة اليونان مما كان له أثر في كلامه، والذي أحدث ضربًا من الكلام لم يُعرف قبل في مصر؛ فقد ألقى على الناس كلامًا لم يألفوه عن الأحوال والمقامات والحب الإلهي، وأن مصادر المعرفة النقل والعقل، هو أول من عبر عن علوم المنازلات فأنكر عليه أهل مصر وقالوا: أحدثت علمًا لم تتكلم فيه الصحابة[4].

وفي كتاب محن الصوفية للسلمي أن ذا النون أول من تكلم ببلدته في ترتيب الأحوال ومقامات أهل الولاية، وكان يذهب مذهب مالك، ولذلك هجره علماء مصر حتى شاع خبره، وأنه أحدث علمًا لم يتكلم فيه السلف، وهجروه حتى رموه بالزندقة[5].

ثم دعاه أمير مصر عبد الله بن عبد الحكم وسأله عن اعتقاده، فتكلم، فرضي أمره، وكتب به إلى المتوكل، وأخرجوه من مصر إلى بغداد مقيدًا مغلولًا، وسافر معه أهل مصر يشهدون عليه بالزندقة[6].

---

(3) سير أعلام النبلاء، الذهبي، (534/11).
(4) تاريخ دمشق، ابن عساكر، (400/17).
(5) سير أعلام النبلاء، الذهبي، (534/11).
(6) بلوغ الأماني في الرد على مفتاح التيجاني، أحمد ولد الكوري العلوي الشنقيطي، ص(93)

وحينما حضر إلى الخليفة المتوكل، سمع الخليفة كلامه فولع به، وأحبه وأكرمه، حتى أنه كان إذا ذكر العلماء يقول: إذا ذكر الصالحون فحي هلا بذي النون[7].

وقال علي بن حاتم: سمعت ذا النون يقول: القرآن كلام الله غير مخلوق، وقال يوسف بن الحسين: سمعت ذا النون يقول: مهما تصور في وهمك، فالله بخلاف ذلك[8].

ومن أقواله الشهيرة: العارف لا يلتزم حالة واحدة، ولكن يلتزم أمر ربه في الحالات كلها[9]، ويقول: الاستغفار اسم جامع لمعان كثيرة، أولهن: الندم على ما مضى، والثاني: العزم على ترك الرجوع، والثالث: أداء كل فرض ضيعته فيما بينك وبين الله، والرابع: رد المظالم في الأموال والأعراض والمصالحة عليها، والخامس: إذابة كل لحم ودم نبت على الحرام، والسادس: إذاقة البدن ألم الطاعة كما وجدت حلاوة المعصية[10].

وقد توفي ذي النون المصري في ذي القعدة سنة خمس وأربعين، وقال يوسف بن أحمد البغدادي: كان أهل ناحيته يسمونه الزنديق، فلما مات أظلت الطير جنازته، فاحترموا بعد ذلك قبره[11].

---

(7) سير أعلام النبلاء، الذهبي، (534/11).

(8) المصدر السابق، (535/11).

(9) المصدر السابق، (536/11).

(10) المصدر السابق، (535/11).

(11) تاريخ الإسلام، الذهبي، (411/4).